النبأ عن سورة سبأ

أ. د. السيد عبدالحليم محمد حسين

شبكة الألوكة
www.alukah.net

www.alukah.net
شبكة الألوكة

النبأ عن سورة سبأ

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

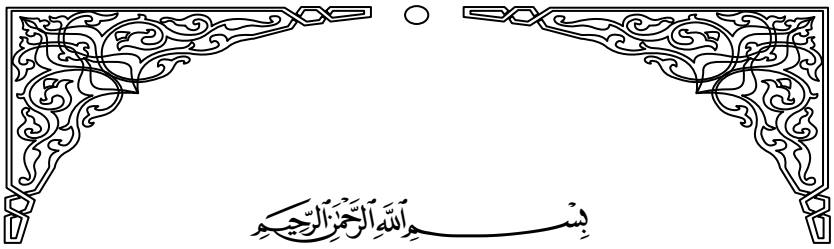

أولاً: معاني المفردات:

الكلمة	معناها
﴿مَا يَلِجُ فِي ٱلْأَرْضِ﴾	ما يدخل فيها من المطر والكنوز والأموات وغيره.
﴿وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾	من الزرُوع وماء العيون وغيره.
﴿وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾	ما يصعد من الملائكة والأعمال إليها.
﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ﴾	لا يغيب عنه ولا يخفى عليه.
﴿مِثْقَالُ ذَرَّةٍ﴾	مقدار أصغر نملة أو هباءة منتشرة في الجو مما يُرى خلال حُزمة ضوئية قادمة من كوّة أو نافذة صغيرة.
﴿فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾	اللوح المحفوظ.
﴿سَعَوْ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ﴾	بذلوا جهدهم وجدُّوا لإبطال القرآن مغالبين لرسولنا وظانين أنهم يعجزوننا ويفُوتوننا.
﴿مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ﴾	أشد أنواع العذاب وأسوئه.
﴿وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾	ويعلم أولو العلم من أصحاب النبي ﷺ ومن جاء بعدهم من العلماء أن هذا القرآن هو الحق الذي لا يأتيه الباطل.
﴿مُزِّقْتُمْ﴾	متم وفرقت أجسامكم في الأرض.
﴿بِهِۦ جِنَّةٌ﴾	به جنون فهو يتكلم بما لا يدري.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الكلمة	معناها
﴿وَٱلضَّلَٰلِ ٱلۡبَعِيدِ﴾	في ضلال البعد عن الحق.
﴿نَخۡسِفۡ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضَ﴾	كما فعلنا بقارون.
﴿كِسَفٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِۚ﴾	قطعًا كما أسقطناها على أصحاب الأيكة لتكذيبهم وجحودهم.
﴿مُّنِيبٖ﴾	راجع إلى الله بالتوبة.
﴿أَوِّبِي مَعَهُۥ﴾	رجّعي ورددّي معه التسبيح.
﴿وَأَلَنَّا لَهُ ٱلۡحَدِيدَ﴾	صيرناه ليناً في يده كالعجينة يشكله كما يشاء من غير إدخال نار ولا طرق بمطرقة.
﴿أَنِ ٱعۡمَلۡ سَٰبِغَٰتٖ﴾	أحكم نسج الدروع بحيث تدخل الحلق بعضها في بعض.
﴿غُدُوُّهَا شَهۡرٞ﴾	جريها من الغدوة أول النهار إلى الزوال مسيرة شهر.
﴿وَرَوَاحُهَا شَهۡرٞۖ﴾	وفي الرواح وهو من الزوال إلى الغروب كذلك.
﴿وَأَسَلۡنَا لَهُۥ عَيۡنَ ٱلۡقِطۡرِۖ﴾	النحاس المذاب.
﴿يَزِغۡ مِنۡهُمۡ عَنۡ أَمۡرِنَا﴾	يعدل عما أمرناه به من طاعة سليمان.
﴿عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾	عذاب النار المسعَّر في الآخرة.
﴿مَّحَٰرِيبَ﴾	قصور ومساجد.
﴿وَتَمَٰثِيلَ﴾	صور للملائكة والأنبياء والصالحين.
﴿وَجِفَانٖ كَٱلۡجَوَابِ﴾	قصاع كبار كالحياض العظام.
﴿وَقُدُورٖ﴾	ما يطبخ فيها الطعام.
﴿رَّاسِيَٰتٍۚ﴾	ثابتات على الأثافي وهي الحجارة يوضع عليها القدور.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الكلمة	معناها
﴿قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ﴾	حكمنا عليه به.
﴿دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ﴾	الأرضه أو سوس الخشب.
﴿مِنسَأَتَهُۥ﴾	عصاه التي يتوكأ عليها.
﴿لِسَبَإٍ﴾	قبيلة باليمن وكان منها ملوك اليمن.
﴿ءَايَةٌ﴾	علامة دالة على قدرته تعالى وإحسانه.
﴿جَنَّتَانِ﴾	طائفتان من البساتين.
﴿بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ﴾	زكية مستلذة.
﴿فَأَعْرَضُوا۟﴾	عن الشكر.
﴿سَيْلَ ٱلْعَرِمِ﴾	يأتي السيل منه.
﴿أُكُلٍ﴾	ثمر.
﴿خَمْطٍ﴾	بدل منه وهو ثمر الآراك أو هو نبت مر لا يمكن أكله.
﴿وَأَثْلٍ﴾	هو الشجر المعروف الشبه بالطرفاء ولا ثمر له.
﴿سِدْرٍ﴾	نوع من النبات لا ينتفع به وله ثمر لا يؤكل أي أن الله أهلك شجارهم المثمرة وأنبت بدلها الأراك والطرفاء والسدر جزاء كفرهم وإعراضهم.
﴿ٱلْقُرَى ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا﴾	قرى الشام
﴿قُرًى ظَـٰهِرَةً﴾	متواصلة بحيث يظهر لمن في بعضها ما يقابله من الأخرى.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الكلمة	معناها
﴿وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ﴾	جعلنا نسبة بعضها إلى بعض على مقدار معين من السير كميل أو مرحلة فلا مشقة يتحملونها في أسفارهم.
﴿بَٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾	طلبوا بطرًا وطغيانًا أن يجعل الله بينهم وبين الشام مكان تلك القرى العامرة صحاري متباعدة الأقطار.
﴿فَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ﴾	صيرناهم أحاديث يتلهى الناس بأخبارهم.
﴿وَمَزَّقْنَٰهُمْ﴾	مزقناهم في البلاد.
﴿صَدَّقَ عَلَيْهِمْ﴾	تحقق صدق ظنه بهم.
﴿سُلْطَٰنٍ﴾	تسلط بالوسوسة والإغواء.
﴿فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ﴾	كُشف عنها الفزع.
﴿ٱلْحَقَّ﴾	القول الحق وهو الإذن بالشفاعة لمن ارتضى.
﴿أَجْرَمْنَا﴾	كسبنا من الأعمال.
﴿يَفْتَحُ بَيْنَنَا﴾	يحكم ويقضي بيننا بالحق فيثيب المطيع ويعاقب العاصي.
﴿وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ﴾	الحاكم بالحق القاضي بالصواب.
﴿أَرُونِىَ ٱلَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِۦ شُرَكَآءَ﴾	أروني الذين ألحقتموهم بالله شركاء له حتى أراهم وأرى ما يقدرون عليه.
﴿كَلَّا بَلْ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾	ارتدعوا عن دعوى المشاركة فالمنفرد بالألوهية هو الله القاهر الغالب الحكيم بالحكمة الباهرة.
﴿كَآفَّةً لِّلنَّاسِ﴾	للناس جميعًا عربهم وعجمهم.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الكلمة	معناها
﴿وَلَا بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ﴾	وهي الكتب القديمة كالتوراة والإنجيل والرسل المتقدمين.
﴿مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ﴾	محبوسون عنده تعالى في موقف الحساب.
﴿يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ﴾	يتراجعون الكلام فيما بينهم باللوم والعتاب بعد أن كانوا في الدنيا متعاضدين متناصرين متحابين.
﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟﴾	وهم الأتباع.
﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟﴾	وهم الرؤساء المتبوعون.
﴿مُّجْرِمِينَ﴾	عظمى الآثام مصرين على الكفر.
﴿بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾	بل صدنا مكركم بنا في الليل والنهار.
﴿أَندَادًا﴾	أندادًا ونظراء وأمثالاً نعبدها من دون الله.
﴿وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ﴾	أخفوا الندم على ما كان منهم في الدنيا من الضلال والإضلال بالنسبة للمتكبرين، ومن الضلال فقط بالنسبة للمستضعفين لما عاينوا العذاب وهالتهم شدته.
﴿ٱلْأَغْلَٰلَ﴾	القيود.
﴿هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾	أي ليس هذا العذاب إلا جزاء لهم على أعمالهم.
﴿مُتْرَفُوهَآ﴾	أغنياؤها ورؤساؤها وجبابرتها البطرون بها.
﴿وَيَقْدِرُ﴾	يقتر ويضيق الرزق على من يشاء بحكمته.
﴿زُلْفَىٰٓ﴾	قربى.
﴿جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ﴾	يجازيهم الله الضعف، أولهم الجزاء المضاعف من

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الكلمة	معناها
	الحسنات.
﴿ٱلْغُرُفَٰتِ﴾	المنازل الرفيعة في الجنة.
﴿يَسْعَوْنَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا﴾	بالرد لها والطعن فيها حال كونهم معاجزين.
﴿مُعَٰجِزِينَ﴾	مسابقين لنا زاعمين أنهم يفوتوننا بأنفسهم.
﴿مُحْضَرُونَ﴾	في جهنم يحضرهم الزبانية فيها.
﴿يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ﴾	يوسعه بحكمته.
﴿وَيَقْدِرُ﴾	يضيقه على من يشاء بحكمته.
﴿أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِمْ﴾	أنت الذي نتولاه ونطيعه ونعبده.
﴿يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ﴾	الشياطين حيث كانوا يطيعونهم فيما يُسوّلون لهم من عبادة غيره تعالى.
﴿مَا هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ﴾	ما هذا القرآن إلا كذب في ذاته.
﴿مُّفْتَرًى﴾	مفترى على الله من حيث نسبته إليه.
﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾	ليس هذا إلا من جنس السحر.
﴿مِعْشَارَ مَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ﴾	عشر ما آتينا من قبلهم من القوة وكثرة المال.
﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾	فكيف كان إنكاري عليهم بالتدمير والإهلاك فليحذر هؤلاء من مثله.
﴿مَثْنَىٰ﴾	متفرقين اثنين اثنين.
﴿وَفُرَٰدَىٰ﴾	وواحدًا واحدًا.
﴿ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟﴾	في أمر محمد ﷺ ورسالته وما جاء به.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الكلمة	معناها
﴿مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ﴾	من جنون وخبل.
﴿إِنْ هُوَ﴾	ما هو.
﴿بَيْنَ يَدَىْ﴾	قبل.
﴿إِنْ أَجْرِيَ﴾	ما ثوابي وجزائي.
﴿يَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ﴾	يلقى الوحي إلى أنبيائه بسبب الحق أو متلبسًا به أو يقذف الباطل بالحق.
﴿جَآءَ ٱلْحَقُّ﴾	الإسلام والتوحيد، أو القرآن.
﴿وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَـٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾	أي ذهب الباطل وهو الكفر والشرك، ولم يبق له إبداء ولا إعادة.
﴿فَزِعُوا۟﴾	اعتراهم فزع وهلع في الآخرة عند البعث ومعاينة العذاب.
﴿فَلَا فَوْتَ﴾	فلا نجاة ولا مهرب لهم يومئذ من عذاب الله.
﴿وَأُخِذُوا۟ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾	من موقف الحساب إلى النار.
﴿وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ﴾	ومن أين لهم في الآخرة تناول الإيمان والتوبة من الكفر وقد كان قريبًا منهم في الدنيا فضيعوه.
﴿وَيَقْذِفُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾	يرجمون بالظن ويتكلمون بما لم يظهر لهم.
﴿بِأَشْيَاعِهِم﴾	بأمثالهم ونظرائهم من كفار الأمم الماضية.
﴿مُّرِيبٍ﴾	موقع في الريبة.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ثانيًا: المعاني والأفكار

الإيمان والعمل الصالح قوام الحكم والجزاء: ١ - ٩:

المحمود في السموات والأرض في الدنيا والآخرة، المالك للكون كله، العليم بكل ما فيه هو خالقه ومبدعه، فما من صغيرة ولا كبيرة إلا وعلمه المحيط الشامل يرصدها، ليتم جزاء المؤمنين، وجزاء العاجزين المعاجزين، الذين كفروا بالبعث، وترد عليهم ضلالهم، بل وتهددهم بالخسف وإسقاط السماء عليهم كسفًا.

إن النعم التي أكرم الله بها الإنسان كثيرة، منها، نعمة الوجود، والإمداد، والأولاد، والحواس: السمع والبصر، والبيان، والعقل، والحركة، والماء، والهواء، ونعمة الكون بدقائقه، التي أجمع بنو البشر بتمتعهم، وتنعمهم بنعم لا تُعد ولا تُحصى.

فلمن تنسب هذه النعم؟ إن النبي ﷺ حينما عاتب الأنصار الذين وجدوا عليه في أنفسهم كما في الصحيحين عن عبد الله بن زيد أنه قال لهم: «ألم تكونوا ضُلالاً فهداكم الله بي؟» وما قال: فهديتكم. لأن صاحب النعمة هو الله، بل هو صاحب النعم كلها. جليلها وحقيرها، كبيرها وصغيرها، عاجلها وآجلها، ما كان منها ماديًا ومعنويًا فهي تعزى إلى الله وحده.

وعندما نزلت للسيدة عائشة آيات براءتها توجهت إلى الله بالصلاة. ولما دُعيت إلى أن تشكر النبي ﷺ قالت: «والله لا أحمد إلا الله».

فكل خير يأتيك من قبل ربك، فإذا أكلت طعامًا تقول: الحمد لله الذي أطعمني فأشبعني، وأسقاني فأرواني، والحمد لله الذي جعلني سليمًا معافى، الحمد لله الذي أعطاني هذه القوة لأخدم نفسي بنفسي، أما أن تعزى النعمة إلى غير الله

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

تعالى، فهذا ليس من أخلاق أهل الإيمان.

فالمؤمن لا ينشغل بالنعمة وينسى المنعم.

هذا الكون بيد الله سبحانه خلقًا، وتصرفًا، ومصيرًا. فالحمد لله على أنه ملكه وحده حيث جمع علينا فكرنا في التوجه إليه دون سواه، فصرنا كلنا في العبودية سواء، يسمع دعاءنا، وابتهالنا، ورجاءنا، ويرى عملنا، ويعلم إخلاصنا، وحبنا، ويرى طاعتنا، وإحساننا، وإتقان عملنا، فالحمد لله على وجوده، وإحاطة علمه.

نكتة بلاغية: الآية الأولى في السورة فيها احتباك، وهو ظاهرة بلاغية رائعة، ففي أول قسم منها حذف شيء، وفي آخر قسم حذف شيء. فإذا اجتمع القسمان. يكون المعنى كما يلي: الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الأرض في الدنيا، والحمد لله الذي له ما في السموات وما في الأرض في الآخرة.. ففي الدنيا: الأمور كلها إليه. وفي الآخرة: الأمور كلها إليه. فله الحمد في الأولى والآخرة.

الحمد لله في الأولى: لا يعرفه إلا المؤمن، لأنه متفتح البصيرة، إيمانه دله على عظمة الله، وعلى أسمائه الحسنى، وعلى صفاته العُلى، فهو يرى في الدنيا أن يد الله فوق أيدي الناس جميعًا: فهو المتصرف المنعم المعطي المانع، النافع، الضار، الرافع، الخافض، المعز، المذل، الباسط، القابض. هذا ما يراه المؤمن في الدنيا.

وغير المؤمن: يرى الشركاء، والأنداد، والنظراء مع أن هؤلاء كلهم في قبضة الله.. والمؤمن لا يرى هؤلاء إنما يرى الله وحده.

فهو قد عرف المنعم، وعرف المسيِّير، وعرف الربّ، وعرف الإله، فاستسلم إليه بالعبودية والرجاء، فدخل في السعادة النفسية التي لا تعرف التعدد في الآلهة ولا التبعثر، فاتصف بالانسجام لا بالتناقض، فصار حامدًا لمولاه، لعلمه بأن كلمة الحمد لله يقصد منها: أن الله هو المتصرّف، وهو الحكيم الخبير، وهو الرحمن الرحيم

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

العادل، خلقنا ليسعدنا في الآخرة، وهو يعلم أننا خلقنا لجنة عرضها السموات والأرض، والدنيا دار عمل، وليست دار نعيم مقيم. وهي دار ابتلاء وجزاء، ودار تكليف لا تشريف، ولا قيمة للحظوظ فيها، والقيمة لطاعة الله ﷻ: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب: ٧١].

فشعوره بأن الله راض عنه، وأنه على خط مستقيم، وأنه في الاتجاه الصحيح، وأنه في الطريق إلى هدف كبير، وهذا هو شعور مسعد، فالحمد لله على ذلك.

- **(وهو الحكيم الخبير)** أفعال الله كلها حكيمة، وكل شيء أراده الله وقع، وكل ما وقع أراده الله، وإرادته متعلقة بالحكمة المطلقة، وحكمته متعلقة بالخير المطلق.

فإذا علمت ذلك راقبته سبحانه في جميع أفعالك لأنه يعلمها ويجزيك عليها، وطاعتك له واجبة بعد حمدك على ما أعطاك: ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ١١٠﴾ [الكهف: ١١٠].

- لذلك قال سبحانه: ﴿يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا يَخۡرُجُ مِنۡهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعۡرُجُ فِيهَاۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلۡغَفُورُ﴾ [سبأ: ٢] لأنك إذا علمت استقمت على أمر الله، فعلمنا بالإشراف الإلهي على ملكه يجعلنا نقر لا معبود بحق إلا الله لأنه يعلم كل شيء.

إنكار الكفار مجيء الساعة:

هناك من البشر من لم يقدر الله حق قدره، ولم يعظمه حق تعظيمه، فكفر به وأنكر قدرته على إعادة الأموات، وقيام الساعة، وقالوا: ما الحياة الدنيا إلا أن نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر، فكان القسم الإلهي على البعث، وأنه آتيهم لا محالة، لأن عالمَ الغيب يعلم حصولها، ووقوعها، وشدتها، وهولها: ﴿فَذَٰلِكَ يَوۡمَئِذٖ يَوۡمٌ عَسِيرٌ ٩ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ غَيۡرُ يَسِيرٖ ١٠﴾ [المدثر: ٩- ١٠]. ﴿إِنَّ إِلَيۡنَآ إِيَابَهُمۡ ٢٥ ثُمَّ إِنَّ عَلَيۡنَا حِسَابَهُم ٢٦﴾

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

[الغاشية: ٢٥- ٢٦]. فهذا يوم عصيب. وعالِمُ الغيب لا يغيب عن علمه شيء، فجميع الأشياء بذراتها وذواتها قد أحاط بها علمه، وجرى بها قلمه، وتضمنه الكتاب (اللوح المحفوظ) فالذي لا يخفى عن علمه مثاقيل الذر فما دونها، ويعلم ما تنقص الأرض من الأموات وما تبقى من أجسادهم قادر سبحانه على بعثهم، والمقصود من البعث: ﴿لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ بقلوبهم، وصدّقوا تصديقًا جازمًا ربهم ونبيهم، وعملوا بمقتضى إيمانهم أعمالاً صالحة، فلهم المغفرة لذنوبهم، وبإيمانهم يندفع عنهم كل شر وعقاب.

وبإحسانهم، يحصل لهم كل مطلوب ومرغوب وأماني.. والناكثون للإيمان: سعوا فيها كفرًا، وبها تعجيزًا لمن جاء بها، ولمن أنزلها، كما عجّزوه في الإعادة بعد الموت.

والموفقون من العباد: يرون أن القرآن هو الحق، ويعلمون أن الله ميزهم بالعلم، وأكرمهم بالعقل، ومنحهم قوة إدراكية، هي مناط المعرفة والتكليف والمسؤولية، قال تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ﴾ [آل عمران: ١٨]. فهم يتّيزون برؤية القلب التي أشار إليها القرآن: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦] فتعرَّفوا إلى الله، واستقاموا على أمره. فالله يقذف في قلب المؤمن نورًا يرى به الخير خيرًا، والشر شرًّا، فالمعول عليه: هو هذه الرؤية. يرون في الأوامر والنواهي أنها تهدي إلى صراط مستقيم، فتأمر بكل خير، وتنهي عن كل صفة تدنس النفس، وتحبط الأجر والثواب، وتوجب الإثم والوزر، وهي من مناقب أهل العلم، وعلامة وفضيلة لهم، فيجعلهم الله حجة على ما جاء به الرسول ﷺ.

سخرية واستهزاء الكفار بالنبي ﷺ

وقال الذين كفروا على وجه التكذيب، والاستهزاء، والاستبعاد، بدهشة بالغة لأمر يرونه عجيبًا لا يتحدث به إلا من أصابه طائف من الجن، فهو يفترى الكذب،

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ويقول بما لا يمكن أن يكون: ﴿هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ إلى هذا الحد من الاستغراب والدهش كانوا يقابلون قضية البعث. فيعجبون من أمر القائل بهذا في أسلوب حاد من التهكم والتشهير، والمقصود بهذا الرجل هو النبي ﷺ الذي يقول، إنكم بعد الموت والبلى والتمزق الشديد. تخلقون من جديد، وتعودون للوجود، ولكن فيما العجب وقد خلقوا ابتداء؟

قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ﴾ [يس: ٧٨- ٧٩] وهم يظنون أنه مفتر للكذب ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ فِى ٱلْعَذَابِ﴾ النّفسي: ﴿وَٱلضَّلَٰلِ ٱلْبَعِيدِ ﴿٨﴾﴾ في متاهة يتخبطون خبط عشواء، فطبيعة الحياة الدنيا أنها مرحلة إعداد للآخرة، فمن جعلها محط الآمال، ونهاية الرحال، وأراها سعادة مادية واستمتاعًا أبديًا، كان فيها معذبًا، ووقع في الشتات والضياع والضلال الكبير: ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾﴾ [الشعراء: ٢١٣]. ليس الأمر كما زعموا فمحمد ﷺ هو الصادق البار، الذي جاء بالحق، وهم الكذبة الأغبياء الجهلاء، وسيظلون في الكفر المفضي بهم إلى عذاب الله تعالى وسيبقون في الكفر المفضي بهم إلى البعد عن الحق في الدنيا...

ألا يرى هؤلاء أنهم في قبضة الرحمن، فالسماء سماؤه، والأرض أرضه، ولو شاء لأمر السموات بالإطباق عليهم، أو حول العذاب عليهم فيتساقط قطعًا، أو يأمر الأرض فتبلعهم، أو البحار فتغرقهم في معينها، أو يصيبهم بالخسف ويأخذهم بالزلازل. فكم من مدن دمرتها البراكين ﴿إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ﴾ [سبأ: ٩] تارة صواعق، وتارة فيضانات، وتارة صقيع يخرب المحاصيل أو أمطار تجرف كل شيء، أو رياح تشتد فتقتلع كل شيء، أو ثلوج شديدة تهلك كل شيء، وكم من مدن كانت في أوج نشاطها، ثم أحرقها غبار بركاني وأماتها: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

مُّنِيبٍ ﴿٩﴾ [سبأ: ٩] إن في النظر إلى خلق السموات والأرض لدلالة لكل عبد فطن رجاع إلى الله، على قدرة الله على بعث الأجساد، ووقوع المعاد، لأن من قدر على البدء قدر على الإعادة للأجسام، ووقوع المعاد، ونشر الرميم من العظام.

حكم التماثيل والصور: ١٠ - ١٤:

يخبر المولى تعالى بما أنعم به على عبده ورسوله (داود) ﷺ من الفضل المبين، والجاه العظيم حيث جمع له بين (النبوة والملك) والجنود ذوي العَدد والعُدَد، وما منحه إياه من الصوت الرخيم، الذي كان إذا سبح به، تُسبّح معه الجبال الراسيات، وإذا قرأ الزبور، تقف له الطيور السارحات، والغاديات والرائحات، تكف عن طيرانها ثم تردد معه الزبور، مع التسبيح والتمجيد، معجزة له ﷺ.

وقد ألان الله له الحديد، حتى كان بين يديه كالعجين، يصنع منه الدروع السابغة، التي تقي الإنسان شر الحروب، كما قال تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [الأنبياء: ٨٠]؟.

وكما أنعم الله على (داود) أنعم على ولده (سليمان) عليهما الصلاة والسلام.

فسخَّر له الريح، وسخَّر الجن، وعلَّمه لُغة الطير، وأسال له عين النحاس فكانت عيناً جارية تسيل بقدرة الله، وكانت الريح تقطع به المسافات الشاسعة الواسعة، في ساعات معدودات، تحمله مع جنده، فتنتقل به من بلد إلى بلد، وتسير به مسيرة شهرين في أقل من نهار واحد ﴿غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ﴾ أي تغدو به مسيرة شهر إلى نصف النهار، وترجع به مسيرة شهر آخر النهار (وكأنها طائرة نفاثة) تحمل ذلك الجيش العرمرم، وتنتقل به في ساعات معدودات، تقطع به مسيرة شهرين.

كما سخَّر له الجن تعمل بأمره وإرادته، مما يعجز عن البشر، من القصور الشامخة، والتماثيل العجيبة، والقصاع الضخمة التي تشبه الأحواض، والقدور الراسيات التي

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

لا تتحرك لكبرها وضخامتها، وأمره أن يشكر الله على هذه النعم.

ثم أخبر سبحانه وتعالى عن كيفية موت سليمان ﷺ، وكيف عمّى الله موته، على الجان المسخرين له في الأعمال الشاقة، فإنه مكث متوكئًا على عصاه نحو سنة وهو ميت، والجن لا تعلم ذلك حتى أكلت الأرضة العصا فكُسرت وسقط على الأرض، فعلموا حينئذ موته، ولو كانوا يعلمون الغيب ما مكثوا هذه المدة الطويلة مسخّرين في الأعمال الشاقة التي كلفهم بها سليمان ﷺ.

ومناسبة قصة داود وابنه سليمان لها ارتباط لما سبق من الآيات الكريمة هي:

أن الكفار لما أنكروا البعث والنشور لاستحالته في نظرهم أخبرهم الله ﷻ بوقوع ما هو مستحيل وقوعه في العادة، مما لا يمكنهم إنكاره، من تأويب (ترجيع) الجبال والطير، وإلانة الحديد لداود حتى كان بين يديه كالشمع أو كالعجين مع أنه جرم صلب... وكذلك تسخير الريح لسليمان تحمله مع جنده، وإسالة النحاس له حتى كان يجري بقدرة الله كجري الماء، وتسخير الجن تعمل له ما شاء من الأعمال الشاقة مما ليس في طاقة البشر.. وكل هذا أثر من آثار قدرة الله. فلا استحالة إذًا لأن الله على كل شيء قدير.

تمزق وتفرق وزوال سبأ لبطرهم وكفرهم: ١٥ - ٢١

قوم سبأ كانوا يسكنون جنوبي اليمن، وأرضهم مخصبة، وتحكموا في مياه الأمطار الغزيرة، فأقاموا خزانًا طبيعيًا، يتألف جانباه من جبلين وعلى فم الوادي سدًّا به عيون تفتح وتغلق، وخزنوا الماء بكميات وفيرة، يتصرفون فيها وفق حاجتهم وقد عرف بسد مأرب. فكانت البساتين المليئة بالأشجار المثمرة، والنباتات الخضراء، والأزهار الفوَّاحة، والمياه العذبة، فجمال الطبيعة متألق، يبعث البهجة في النفس، فالأنهار كانت تخترق هذه الجنان، فعن اليمين جنات وارفة الظلال، يانعة الثمار،

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

شامخة الفروع، بينها الأنهار تجري، وعن الشمال أيضًا جنات مثلها.. كلها كانت رمزًا للخصب والوفرة، والمتاع الجميل. ومن ثم كانت آية تذكّر بالمنعم الوهاب، وقد أمروا أن يستمتعوا برزق الله شاكرين. فكانوا يعيشون في خير عميم، فالبلدة طيبة تربتها، وزرعها، وماؤها، وهواؤها، والرب سبحانه غفور، فالعبد إذا وقع في خطأ واستغفر الله يجد الله توابًا رحيمًا، فجعل الله تعالى المغفرة صمام أمان. فالله جلت قدرته يُسترضي بعمل صالح ففي صحيح ابن حيان عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: «الصدقة تطفئ غضب الرب، وتدفع ميتة السوء». فإذا وقع العبد في مشكلة، أو لاح له شبح مصيبة، أو خاف من مرض عضال، فعليه بالصدقة.

فكانت سماحة في الأرض بالنعمة والرخاء، وسماحة في السماء بالعفو والغفران، فماذا يقعدهم عن الحمد والشكران؟.. ولكنهم أعرضوا، فتركوا طاعة ربهم، وأوامر رسلهم، وشكر مولاهم، ومالوا إلى الدنيا، وانغمسوا في حمأتها، وفي حظوظهم الخسيسة، وشهواتهم المنحطة، وآثروا الاستمتاع بلذاتهم، فكان علاجهم عند الله بِعَطَب أصاب سدهم العظيم، ففاض عليهم وغمرهم وشتتهم، ودمّر بيوتهم، وجرف مزارعهم وأشجارهم، وجعلهم يهيمون على وجوههم في الآفاق، وجعلهم مزقًا لا يلوون على شيء.

وأية بلدة حتى في هذا العصر إذا كانت في بحبوحة، وطمأنينة، وراحة، وانغمست في الشهوات والمعاصي، فقد يأتيها البلاء دُفعة واحدة، فجأة من حيث لا تدري.

ثم بدلهم الله بجنتين ﴿ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ﴾ أي: طعم مُرّ، تمجُّه الأفواه، وتكرهه الأنفس ﴿وَأَثْلٍ﴾ نبات رعوي لا جدوى منه ﴿وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾﴾ وهو أجود ما صار لهم، ولم يعد لهم منه إلا القليل، وله بعض الثمار القليلة جدًّا.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وهذا جزاء كفران النعمة، وكل شرك، أو فسق، أو نفاق، أو انحراف له جزاء.

وإذا كان الكفور مجزيًا بعمله، فالشكور له معاملة خاصة، ومكانة عالية عند الله، فهو محفوظ، مكرَّم، منصور، مُقَرَّب، موفق.

قال تعالى في قوم سبأ: ﴿ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَـٰهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ ۖ سِيرُوا۟ فِيهَا لَيَالِىَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ﴿١٨﴾ ﴾ [سبأ: ١٨] أشار سبحانه إلى نعمة نَعِمَ بها قوم سبأ وهي أن العمران ما يزال متصلاً بينهم وبين القرى المباركة، مكة في الجزيرة، وبيت المقدس في الشام، وبلاد اليمن كانت عامرة في شمال بلاد سبأ، ومتصلة بالقرى المباركة، والطريق بينهما عامر مطروق مأمون، فكان لا يغيب عن العين علامات هذه القرى، كما أن بعض البلدان يتصل بنيانها، وكان المسافر لا يحتاج إلى زاد، فأينما تحرك يجد القرى كلها عامرة والطعام متوافر، والطرق ظلها ظليل، فهل شكر أولئك القوم تلك النعم؟

﴿ فَقَالُوا۟ رَبَّنَا بَـٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَـٰهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَـٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٩﴾ ﴾ [سبأ: ١٩].

لقد غلبت الشقوة على قوم سبأ، فدعوا دعوة الحمق والجهل بإعراضهم وكفرهم ومعاصيهم حتى صارت هذه البلاد قاحلة، بعد الخصوبة، والبناء المتصل والطريق المأمونة المأنوسة. وطلبوا الأسفار البعيدة المدى، فبعصيانهم لربهم، دُمِّروا وشتِّتُوا، وتفرَّقوا، وتشعَّبوا، وتشرذموا، وكأنهم بمعاصيهم يقولون: ربنا مزقنا، وفرقنا، وشرذمنا، ودمرنا... هذا لسان حالهم. ولقد ظلموا أنفسهم بالمعصية وما من ظلم أشد من ظلم النفس. لذلك جعلهم الله ﴿ أَحَادِيثَ ﴾ قصة يتعظ الناس بها، فالأمم السابقة أصبحت أحاديث، وآثارها تخبرك عنها...

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقد ذكر الحق سبحانه الصبر إلى جوار الشكر، الصبر في البأساء، والشكر في الضراء وفي القصة آيات لهؤلاء وهؤلاء.

﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾﴾ فقوم سبأ ظن بهم إبليس المعصية، فصدقوا ظنه، وعصوا ربهم، وصدقوا ظنه فأغواهم وأضلهم ففجروا وكفروا، واستكبروا إلا جماعة قليلة مؤمنة استعصت على إبليس وثبتت على الحق، ونأت عن غوايته، واستقامت على أمر الله، والمؤمن دائمًا يُخيب ظن إبليس، ولا ينساق مع شهواته، ولا مع ضلالاته.

﴿وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِٱلْءَاخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِى شَكٍّ ۗ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ ﴿٢١﴾﴾ [سبأ: ٢١].

إبليس لا يمكن إلا أن يوسوس ولكن ليست له علاقة بمعصيتك أكثر من الوسوسة فأنت الذي تستجيب أو ترفض، بشهادة إبليس نفسه: ﴿وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى ۖ فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ ۖ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ﴾ [إبراهيم: ٢٣].

فتسليط إبليس على البشر ليثبت على الحق من يثبت، ويزيغ عنه من لم يرد الحق لنفسه. ولتبرز صورة من يؤمن بالآخرة بعثًا وحسابًا وجزاء ومن هو منها في شك فيستجيب للغواية والإضلال دون نظر لبعث أو حساب.. ﴿وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ ﴿٢١﴾﴾ فكل شيء مسجل ومحاسب عليه ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [الحجر: ٩٢- ٩٣].

- **عظة وعبرة:** قصة قوم سبأ هي قصة كل قوم بل كل إنسان أوتي الفضل من المنعم، ثم جحد وأنكر، وعلا واستكبر، وكفر وفجر، واتبع غواية الشيطان.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [النحل: ١١٢]. ففي حياتنا أقوام فسقوا، وفجروا، وانحرفوا، وسقطوا في المعاصي والموبقات، فشتتهم الله، وأفقرهم، وأخافهم، وأهلكهم، ودمّرهم.. ربنا يُعطى ويمنع، ويبسط ويقبض، ينفع ويضر، ويُعجز ويُذل، فإذا أنعم على الناس بالخيرات فهو آية، وإن سلبهم إياها فهو آية.

فليعلم كل إنسان أن الله ﷻ كلما تجلت قدرته في إغنائه، تتجلى كذلك قدرته في إفقاره، فكما يُعطي يأخذ وكما يرفع يخفض، وكما يعز يذل، وكما يُضحك يُبكي وفي كل ذلك آيات.

فالآية حينما يُعطي، والآية حينما يأخذ، فأنت في قبضّة الله ﷻ، وفي أية لحظة يمكن أن يجعل الله سبحانه وتعالى حياتك نعيمًا أو جحيمًا.

إذا أتى الله الإنسان مالاً أو صحة أو جاهًا، أو أنعم عليه بأهل، ومأوى، ففي أي لحظة يرد هذا إلى ذكائه، وإلى خبرته، وإلى دأبه، فهو مشرك جاهل.

عندما ترى بلادًا رخيّة سخيّة، فيها أشجار مثمرة، ومحاصيل وفيرة، وخيرات كثيرة، فاعلم أن هذا من عند الله.. وإذا أولت المظاهر الطبيعية تأويلاً ماديًا أو أرضيًا فأنت لا تعرف الله.. فمن الذي أنزل الأمطار؟ الله رب العالمين. ومن الذي أنبت الزرع؟ وأدّر الضرع؟ الله رب العالمين. والفرق كبير بين أهل الشرك وأهل الإيمان.. فالكفار لا يرون إلا النعمة: ﴿يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ﴾ [الروم: ٧]. والمؤمنون يرون النعم من خلال المنعم.

فإذا شكرت المنعم، فشكرك له، لما أنعم به عليك. بل ولأنه أهل لأن يحمد ويشكر، ويُذكر ولا يكفر.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

إذا كنت في نعمة فارعها ** فإن المعاصي تزيل النعم
وحطها بطاعة رب العباد ** فرب العباد سريع النقم
وإياك والظلم مهما استطعت ** فظلم العباد شديد الوخم
وسافر بقلبك بين الورى ** لتبصر آثار من قد ظلم
فتلك مساكنهم بعدهم ** شهود عليهم ولا تتهم
فكم تركوا من جنات ومن قصور ** وأخرى عليهم أطم
صلوا بالجحيم وفاتوا النعيم ** وكان الذي نالهم كالكلم

بإيجاز فتأمل:

كانت سبأ ملوك اليمن وأهلها، وكانت التابعة، وبلقيس - صاحبة سليمان- منهم، وكانوا في بلادهم في نعمة وغبطة، من اتساع في العيش، ووفرة في الرزق، وكثرة في الزروع والثمار، وبعث الله إليهم الرسل تأمرهم أن يأكلوا من رزقه، ويشكروه على عطائه، ويوحدوه ويعبدوه ولا يشركوا به شيئًا، فكانوا على ذلك ما شاء الله.. ثم أعرضوا عما أمروا به، وكفروا بالمنعم، فعوقبوا بإرسال السيل والتفرق في البلاد أيدي سبأ، شذر مذر، لما عبدوا الشمس من دون الله كما قال هدهد سليمان: ﴿ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [النمل: ٢٢- ٢٤].

الدرس المستفاد:

لما جحدوا نعم الله وبدَّلوها كفرًا، صدم الماء بناء السد فسقط، فانساب الماء في أسفل الوادي، وخرب الأبنية والأشجار، ثم نضب الماء عن الأشجار فيبست

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وتحطمت، وتبدلت الأشجار المثمرة الأنيقة النضرة إلى شجر الأراك والسدر ذي الشوك الكثير، والثمر القليل، والطرفاء، بعد الثمار النضيجة، والمناظر الحسنة، والظلال العميقة، والأنهار الجارية.. وذلك بسبب كفرهم، وشركهم بالله، وتكذيبهم الحق، وعدولهم عنه إلى الباطل، لهذا قال: ﴿ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُوا۟ ۖ وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ﴿١٧﴾ ﴾ [سبأ: ١٧] قال ابن خيِّرة: جزاء المعصية الوهن في العبادة، والضيق في المعيشة، والتعسر في اللذة. قيل: وما التعسر في اللذة؟ قال: لا يصادف لذة حلالاً، إلا جاء من يُنغّصُ إياها.

سبحان الله:

يذكر الله سبحانه ما كانوا فيه من الغبطة والنعمة، والعيش الهنيء الرغيد، والبلاد الرخية، والأماكن الآمنة، والقرى المتواصلة المتقاربة، بعضها من بعض، مع كثرة أشجارها، وزروعها وثمارها، بحيث إن مسافرهم لا يحتاج إلى حمل زاد ولا ماء، بل حيث نزل وجد ماء وثمرًا، ويقبل في قرية، ويبيت في أخرى، بمقدار ما يحتاجون في قطعها إلى الزاد والرواحل، والسير في الحرور والمخاوف، كما طلب بنو إسرائيل من موسى أن يخرج الله لهم مما تنبت الأرض، من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها مع أنهم كانوا في عيش رغيد في مَنّ وسلوى، وما يشتهون من مآكل ومشارب، وملابس مرتفعة، ولهذا قال لهم: ﴿ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ ﴾ [البقرة: ٦١].

﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍۭ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا ۖ ﴾ [القصص: ٥٨].

لذلك جعلهم الله حديثًا للناس، وسَمَرًا يتحدثون به من خبرهم، وكيف دبر الله لهم ففرق شملهم بعد الاجتماع والألفة والعيش الهنيء، وجعلهم عبرة بحلول النقمة

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

والعذاب، وتبديل النعمة، وتحويل العافية عقوبة على ما ارتكبوه من الكفر والآثام، ودلالة لكل عبد صبار على المصائب، شكور على النعم.. فنعم العبد الصبار الشكور، الذي إذا أعطى شكر، وإذا ابتلى صبر. «ابن كثير بتصرف».

قضية الشرك والتوحيد: ٢٢ - ٢٧:

نتناول الآيات عدة مواقف:

الأول: الموقف الخاشع الواجف المرهوب العسير.

الثاني: الرزق الذي يستمعون به ويغفلون عن مصدره.

الثالث: الذي يقف فيه كل قلب أمام عمله وتبعته في أدب وقصد وإنصاف.

الرابع: التقاء أهل الحق والباطل وجهًا لوجه للفصل والحكم عن علم ومعرفة بينهما.

الخامس: التحدي للشركاء المزعومين.

كل ذلك في الهيكل الكوني الهائل، وفي موقف الشفاعة المرهوب، وفي مصطرع الحق والباطل، وفي أعماق النفوس، وأغوار القلوب.

- **مقدمة:** هذه الجولة حول قضية الشرك والتوحيد، تطوف بالإنسان في مجال الوجود كله، في تنقلات أليمة تتغشى البشرية في حضرة ذي الجلال والجمال والكمال، وما يترتب على هذا الموقف الرهيب في الحساب والجزاء.

- **عرض الآيات:** عقيدة التوحيد هي الركيزة الأولى لبناء الإنسان، وركنها الأقوم في بناء ما جاءت به من تعبدات وشرائع ونظم اجتماعية وآداب سلوكية تعتمد على أرفع مكارم الأخلاق التي ينبغي أن تساس بها الحياة بمن فيها وما فيها.. لقد نزلت الآيات لتحقيق عقيدة التوحيد الخالص الذي يفرد الله تعالى بالتعبد

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الخالص له وحده، فلا شرك ولا شركاء ولا إلوهية إلا لله الواحد القهار.

الله هو المستقل بالأمر وحده، من غير مشارك ولا منازع ولا معارض، والذين يُدْعوْن من دون الله لا يملكون شيئًا استقلالاً، ولا على سبيل الشركة، وليس لله من هذه الأنداد ظهير يستظهر به في الأمور، فالخلق كلهم فقراء إليه، عبيد لديه.

الشفاعة:

- إن الشفاعة عند الله مرهونة بإذنه، ولا يأذن ربنا فيها لغير المؤمنين به المستحقين لرحمته، أما الذين يشركون به فليسوا أهلاً لها، في ذلك الموقف العظيم ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾﴾ [سبأ: ٢٣].

- **الرزق:** قضية الخلق والرزق، وقضية الموت والفقر، أخطر قضيتين في حياة الإنسان نهاية عمره، ورزقه، فإذا ثبت أن الله هو الخالق، وأنه المحيي المميت، انتهى الخوف، وانتهى القلق والنفاق.. وإذا ثبت أن الله هو الرازق، انتهى كل شيء، فيقينك أن الله ﷻ بيده الرزق وحده، يكثّره أو يقلله، يضيقه أو يوسعه، يسهله أو يعسّره. ولأنه جعل الرزق متغيرا يجعلك تؤمن بأنك لن تنال ما عند الله إلا بطاعته.

لذلك إذا أردت بحبوحة الرزق فالجأ إليه وطبق أمره سبحانه ﴿قُلِ ٱللَّهُ﴾ وحده الرازق ﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾﴾ [الشعراء: ٧٨- ٨١].

- **أدب الحوار:** إذا أردت أن تناقش الآخرين، أو تحاورهم، وتنقلهم إلى الحق وتهديهم سواء السبيل، فدونك هذا الأسلوب، فالله سبحانه يأمر النبي ﷺ أن يقول للخصوم الكفار، المشركين الفجار: ﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

مُّبِينٍ﴾ [سبأ: ٢٤]. واحد من الفريقين مبطل، والآخر محق. فلا يمكن أن تكونوا أنتم ونحن على الهدى أو على الضلال، بل واحد منا مصيب. ونحن قد أقمنا البرهان على التوحيد، فدل على بطلان ما أنتم عليه من الشرك بالله، حينئذ لا يملكون أن يماروا في هذا ولا أن يدَّعوا سواه.

وهذه غاية الإنصاف والاعتدال والأدب في الحوار أن تقول للخصم إن أحدنا لابد أن يكون على هدى، والآخر لابد أن يكون على ضلال، ثم يدع تحديد المهتدى منهما والضال ليثير التدبر والفكر في هدوء، لا تغشى عليه العزة بالإثم، والرغبة في الجدال والمحال، فإنما هو هاد ومعلم، يبتغي هداهم وإرشادهم، لا إذلالهم وإفحامهم.

الجدل على هذا النحو المهذب الموحي أقرب إلى لمس قلوب المستكبرين المعاندين المتطاولين.

ثم يقول سبحانه: ﴿قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [سبأ: ٢٥]. يا الله!

أيكون عمل النبي ﷺ في الدعوة إلى توحيد الله، وبيان أمره، وإلى الأخلاق الحميدة، أيكون جريمة؟!

أي: يا أيها الكفار، إن كنتم تتوهمون أن في هذه الدعوة جريمة في حق المجتمع، فنحن وحدنا المسؤولون عنها، وأنتم بريئون منها، وإذا توهمتم أن ردكم للحق عمل طيب، فأنتم وحدكم المحاسبون عنه.

وفي هذه الآية تلطف كبير في محاورة الخصم، فأنتم تعملون، ونحن أجرمنا، ولم يقل لا تسألون عما تجرمون، لا، بل قال: ﴿عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾﴾. فيجب أن ننتقي ألطف كلمة، وهذا هو الأدب الجم، وإن ربنا ﷻ علمنا كيف ندعو إليه، قال

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

تعالى: ﴿ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

يعني: أيها المؤمن، إذا كنت على حق فلا تبال، ولا تعبأ بالناس، ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾﴾ [الأنعام: ١١٦].

- ﴿ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٦﴾﴾ [سبأ: ٢٦].

فالخلافات المذهبية في المعتقدات، والخلافات بين الناس في دينهم ودنياهم وكل الخلافات المستعصية لابد من أن تحل عند ديّان السموات والأرض، ومعنى (يفتح) يحكم، والله وحده هو الذي يحكم، ويفصل بين الناس يوم القيامة فيما اختلفوا فيه بحكمه الفاصل الحاسم، الذي يفصل ويحكم عن علم ومعرفة بين المحقين والمبطلين، والله وحده هو الذي يجمع وهو الذي يفتح وهو الفتاح العليم.

فهنا قد وقف كل إنسان أمام عمله وتبعته، والتقى الحق بالباطل وجهًا لوجه ليلقى كل جزاء عمله. ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾﴾ [الغاشية: ٢٥- ٢٦] وذلك يوم الدينونة، يوم الحساب والجزاء، يوم الحق، يوم يدفع الإنسان ثمن اختياره في الدنيا.. فهنيئًا لمن كان على الحق، والويل لمن كان على الباطل، فلو أن أهل الدنيا كلها معك ولم تكن على الحق ما حصَّلت شيئًا ولا حققت ربحًا.

- **التحدي بين الشركاء المزعومين** يقول سبحانه: ﴿ قُلْ أَرُونِىَ ٱلَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِۦ شُرَكَآءَ ۖ ﴾ [سبأ: ٢٧].

أداة نفي وردع، وفي السؤال استنكار واستخفاف ﴿ بَلْ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [سبأ: ٢٧] أي: من هؤلاء الذين جعلتموهم شركاء لله ﷻ؟ أهذا الصنم؟ أيعقل أن يكون هذا الصنم ربًّا، هل يمكن للأحجار أن تكون آلهة؟ أو الأشخاص؟ الشخص من

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

بني البشر لا يستطيع أن يدفع عن نفسه ضرًا، فكيف تقدسه أو تعبده من دون الله؟

من هذا الذي جعلته إلهًا تعبده من دون الله؟ ﴿بَلْ﴾ الإله المعبود بحق ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ﴾ الذي يحتاج إليه كل شيء في كل شيء، لأنه واحد لا شريك له، متفرد في ذاته، وفي أسمائه، وفي أفعاله، وفي صفاته، ولأنه يستحيل أن يُحاط به ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ الذي يضع كل شيء في موضعه.

موقف الكفار والمترفين من رسالة النبي ﷺ ٢٤ - ٢٨:

تمهيد: الكفار والمترفون أغرتهم أموالهم وأولادهم، وظنوها دليلًا على اختيارهم وتفضلهم، وأنها مانعتهم من العذاب في الدنيا والآخرة، والآيات الكريمة تبرز أمرهم، وتظهر حالهم في الآخرة كأنها واقعة، ليروا أن كان شيء من ذلك ليس نافعًا لهم أو واقيًا. ويتضح من العرض لا الجن ولا الملائكة الذين كانوا يعبدونهم في الدنيا يملكون لهم في الآخرة شيئًا. وأثناء الحوار يكتشف تفاهة ما كانوا يعتزون به في الدنيا من الأعراض الزائلة، ويتقرر أن الغنى والفقر يجريان وفق مراد الله، وليس دليلاً على رضى أو غضب، ولا على قربى أو بعد، إنما هو ابتلاء واختبار ليظهر المحسن من المسيء.

- **عموم الرسالة المحمدية:** دعوة النبي ﷺ عامة لكل الأمم والشعوب ولكل الأزمان والعصور: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ﴾ [سبأ: ٢٨] ﴿بَشِيرًا﴾ لمن أطاعك ﴿وَنَذِيرًا﴾ لمن عصاك، ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [سبأ: ٢٨] فالمعرضون عن دعوتك يسخرون، ويُعدُّون الدين شيئًا لا يصلح لهذه الأيام، وقد يرونه من ضعف الإنسان أمام قوى الطبيعة المخيفة.. فماذا يقولون حينما يطلعهم الله على أعمالهم يوم القيامة؟

يقولون: ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأنعام: ٢٣]. قال: ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰٓ

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أَنفُسِهِمْ﴾ [الأنعام: ٢٤] أي هم يكذبون الآن وجبلَّة الإنسان أن يطيع الله ﷻ، فإذا أطاع الله ارتاحت نفسه، وإذا عصاه وقع في شك واضطراب شديد.

ولجهل الصادين عن الدعوة بوظيفة رسول الله يسألون سؤال سخرية واستهزاء عن الوعد والوعيد ﴿مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [سبأ: ٢٩]؟ ولم يعلموا أن رسول الله ﷺ محدد الوظيفة لا يتخطاها، والذي أرسله هو صاحب الأمر، وهو الذي حدد له عمله، وكان الجواب عن سؤالهم:

﴿قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ لَّا تَسْتَـْٔخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [سبأ: ٣٠] ومواعيد الإله التي حددها لا تتقدم ولا تتأخر لرغبة أو رجاء أحد، فهو سبحانه قدّر كل شيء تقديرًا، ورتب الأمور حسب حكمته المستورة.. فالاستعجال بالوعد والوعيد دليل على عدم إدراكهم لحكمته سبحانه وتعالى.

- **كفرهم بالقرآن:** ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَلَا بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ تصور هذه الآية الكريمة إصرار وعناد الكفار ابتداء على رفض الحق والهدى في جميع مصادره، ولن يؤمنوا به لا اليوم ولا بعد اليوم، وتصور وقوفهم على عرصات القيامة في انتظار الجزاء عند ربهم الذي لا يؤمنون بكتبه، وهو يتلاومون، يلوم بعضهم بعضًا، ويلقون تبعة ما هم فيه على بعض ﴿يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾﴾ [سبأ: ٣١] كان ذل المستضعفين يمنعهم من المواجهة، ولما سقطت الأقنعة عن الجميع في ذلك الموقف الأليم، وواجهوا العذاب الرهيب، قالوها غير متبعين ولا خائفين ﴿لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾ فيجيبهم المستكبرون بالسب والطعن الشديد، والاستفهام الغليظ: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓا۟ أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾﴾ [سبأ: ٣٢]! فتخلوا عن التبعة، وقالوا أنتم بطبائعكم لا تقبلون الهدى لأنكم

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

مجرمون.. ولكن المستضعفين يجهرون في وجه المستكبرين - حينما رأوا العذاب- بمكرهم الذي لم ينقطع نهارًا ولا ليلاً في الصد عن الهدى، والتمكين للباطل وتلبيس الحق، والأمر بالمنكر واستخدام القوة والسلطان في التضليل والإغواء، ثم يدرك الطرفان أن الحوار البائس لن ينجيهم من العذاب بعد أن وضح لهم أن أعمالهم حسرات عليهم، وأنهم واردوا جهنم، وكل سيعذب بإثمه وجريرته، فالمستكبرون عليهم إثمهم، وتبعة إضلال الآخرين وإغوائهم، والمستضعفون عليهم وزرهم لتبعيتهم للطغاة لا يعفيهم أنهم كانوا مستضعفين.. لقد أطفأوا مشاعل الإدراك، وأبطلوا مدارك العقل، وباعوا حريتهم وأصبحوا ذيولًا، ورضوا بالذل والهون فاستحقوا العذاب جميعًا، وحاصرهم الكمد والهم والحزن حين تحقق فيهم وعيد الله ﷻ بالعذاب المهين، يستحبهم بالأغلال وإلقائهم في الجحيم، لظلمهم، وطغيانهم، وتضليلهم، وانحطاط كرامتهم وخنوعهم للبغي والطغيان، فالكل في العذاب سواء، لا يجزون إلا ما كانوا يعملون.

منطق المترفين قديم متجدد:

- كلمة (ترف) لم ترد في القرآن إلا مقترنة بالكفر، وهو كفر النعمة، فالمؤمن يعرف النعم فيتأدب مع المنعم.

- المترف هو الذي ينفق أموالاً طائلة بغير حساب، وبلا تعقل ولا حكمة على شهواته ومعاصيه ويحرم الفقراء والمحتاجين.

- يعتقد الكفار والمترفون أن الله لن يعذبهم لأنه أعطاهم أموالاً طائلة ولولا حب الله لهم لما أعطاهم تلك الأموال. ويقولون: إذا أحب الله عبده أراه ملكه، ﴿وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٣٥﴾﴾ [سبأ: ٣٥]. ونسوا أن الله سلب الدنيا من أوليائه، وأعطاها لأعدائه، فالله قد أعطى الملك لمن لا يحب، فأعطاه

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

لفرعون، وأعطى المال لمن لا يحب فأعطاه لقارون، والأنبياء والمرسلون أعطاهم الله العلم والحكمة، فإذا أوتيت نصيباً منهما فقد نلت عطاء الأحباء.

ليس الحرمان من الدنيا إهانة، ولا عطاؤها إكرام ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [سبأ: ٣٦]. وكأن الله يقول: يا عبادي ليس عطائي إكرامًا ولا منعي إهانة، إن عطائي ابتلاء، وحرماني دواء، وهذا ينبغي أن نفهمه.

اعلموا أن أموالكم العريضة، وبيوتكم الفخمة، وتجارتكم الواسعة، ومكاتبكم الوثيرة، ومكانتكم العلية، لن تغني عنكم من الله شيئًا. ﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُم بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰ﴾ فلا أموالك ولا أولادك تقربك إلى الله زلفى. فإن كنت مؤمناً غنياً، وأنفقت المال في طاعة الله، وعندك أولاد صالحون، فهذا شيء جميل.

﴿إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ فقد يضاعف الله سبحانه لك في الثواب جزاء ما أحسنت في نعمه. وليست الأموال والأولاد بذاتها هي التي تقرب من الله، ولكن التصرّف فيهما هو الذي يضاعف الأجر والجزاء ﴿فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [سبأ: ٣٧].

فالمترفون من قريش وكبراؤهم قالوا ما قاله كل مترف قبلهم أمام كل رسالة.

- إن الذي يسعى لإحباط الحق، وإطفاء نور الله ﷻ، وعرقلة طريق الإيمان والتشكيك فيما ينفع الناس ويصلحهم، سوف يُقاد يوم القيامة، ويُحضَر إلى الحساب ويعذب عذاباً أليماً: ﴿وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [سبأ: ٣٨]. ثم يكرر سبحانه أن بسط الرزق وقبضه أمر آخر يريده الله لحكمة منفصلة، وأن ما ينفق في سبيل الله هو الذخر الباقي الذي يفيد لتقر هذه الحقيقة واضحة في القلوب.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

توجيه تربوي:

في الآية التي معنا ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ...﴾ أسلوب لطيف من أساليب التقريع. فإذا أردت أن توبخ إنسانًا فاتركه، واسأل آخر، وليسمع من الآخر حجم فعلته.

- هؤلاء الوثنيون الذين عبدوا الأوثان، وصنعوها على شكل ملائكة كي يتقربون بها إلى الله، حتى تذكرهم بملائكة مقربين طاهرين. فعبدوها كي يتقربوا بها إلى الله زلفى، جمعهم الله يوم القيامة مع الملائكة، ثم قال للملائكة: ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [سبأ: ٤٠] أي: أنتم أمرتم هؤلاء أن يعبدوكم من دون الله؟! وهل أنتم راضون أن يعبدوكم من دون الله؟!

هذا أسلوب حكيم، فيه تقريع للكفار، وتبكيت لهم، وإظهار لوثنيتهم وشركهم.. فما كان من الملائكة إلا أن تبرأت من تلك الدعوى الباطلة، وقالت: يا رب، أنت منزه عن الشريك، ومنزه عن الولد، ومنزه عن كل نقص، وأنت أهل لكل كمال، سبحانك يا رب! سبحانك ما أعظم شأنك! فما أبعدك عن هذه الأقاويل الباطلة، وما أبعدك عن هذه الوثنيات، ونحن ليس في إمكاننا أن ندّعي أو أن نأمر أحدًا أن يعبدنا من دونك، إذ أنت الذي تتولى أمورنا ﴿أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِمْ ۖ﴾ [سبأ: ٤١].

والكفار يتخذ بعضهم بعضًا أربابًا من دون الله، وأكثر الجن هدفهم الإضلال والذين يتعاونون مع الجن هدفهم إضلال الناس عن طريق الهدى، وأي إنسان يتعاون مع الجن بغية الإفساد والإضلال فقد كفر. وحينما يتعاون الإنس مع الجن يزدادون رهقًا وشقاء كما قال سبحانه ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾﴾ [الجن: ٦].

﴿فَٱلْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [سبأ: ٤٢]. لا الملائكة يملكون للناس شيئًا ولا الكفار يملك بعضهم

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

لبعض شيئًا، والنار التي كذب بها الظالمون، وكانوا يقولون: متى هذا الوعد إن كنتم صادقين، ها هم أولاء يرونها واقعًا لا شك فيه ﴿وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿٤٢﴾﴾.

إذًا في الدنيا رؤية صحيحة يملكها المؤمنون، ورؤية مغلوطة ضبابية معتمة يقع بها الضالون، وفي الآخرة رؤية عامة. ﴿أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥٣﴾﴾ [الشورى: ٥٣].

- **حديث المشركين عن النبي والقرآن وتذكير بمصائر الغابرين: ٤٤- ٥٤:**

- مقولات المشركين عن النبي والقرآن.

- مصارع الغابرين الذين أخذهم النكير في الدنيا وهم كانوا أقوى وأعلم وأطغى.

- توجيه للمشركين أن يقوموا متجردين، غير متأثرين بالحواجز التي تمنعهم من النظر الصحيح.

- ما الباعث على ملاحقة الرسول ﷺ لهم بالدعوة مع أنه لا يأخذ أجرًا ولا نفعًا؟!

- من مواقف يوم القيامة المؤثرة.

خطورة ما يواجههم به القرآن:

الكفار يستحقون من الله العقوبة، والأليم من العذاب، فهم إذا تليت عليهم آيات الله البينات، غضة طريقة كما نزلت على سيد البريات، قالوا: ما هذا القرآن: ﴿مَا هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ مُّفْتَرًى﴾ من صنع محمد، وطعنوا في أصل الدين، لأنهم أحسوا بخطورة ما يواجههم من الحق المستقيم الذي يدمدم على رواسبهم المشوشة، وعقائدهم المنحرفة، وعاداتهم الموروثة عن آبائهم فقالوا: ﴿مَا هَٰذَآ إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُكُمْ﴾ وهذا تشكيك فيه، وفيما يوحى إليه لصد الجماهير عن

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الاستماع إليه وقبول دعوته، وقالوا: ما أنزل الله على العرب من كتاب قبل القرآن، وما أرسل إليهم نبيا قبل محمد ﷺ، وقد كانوا يودُّون ذلك، ويقولون: لو جاءنا نذير، أو أنزل علينا كتاب، لكنا أهدى من غيرنا، فلما منّ الله عليهم بذلك، كذبوه وعاندوه وجحدوه.

إنها سلسلة من الاتهامات، وحملة من الأكاذيب، يطلقها الكبراء لتبقى سيطرتهم على الدهماء، ومع هذا يذكرهم الحق سبحانه بمصارع الذين كذبوا من قبل، وهم لم يؤتوا معشار ما أوتي أولئك الغابرون من العلم والمال والقوة، ولما كذبوا الرسل كان نكيرهم مدمرًا مهلكًا لهم، وهم يعرفون بعض هذه الأقوام في الجزيرة لذلك كان السؤال تهكميًا ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٥﴾﴾ وهم يعرفون العذاب المهلك لمن سبقهم.

منهج البحث عن الحق:

رسم القرآن الكريم منهجًا للمعارضين للحق، المتهمين لمحمد ﷺ بالجنون يقوم على النظر والتأمل في هدوء دون ضجيج أو صراخ، دعوة تقوم على الحق. بعيدة عن الهوى والمصلحة، وأن تتعامل مع الواقع، مستجلبة الفطرة السوية، تعتمد على التجرد والمؤثرات، وتقوم على مراقبة الله وتقواه، هي واحدة إن تحققت صح المنهج، القيام لله، لا لهوى ولا لغرض ولا لمصلحة. ﴿أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ﴾ مثنى ليراجع أحدهما الآخر، وفرادى مع النفس في تمحيص هادئ عميق وتتفكروا في محمد ﷺ ورسالته الذي شهر بينكم بالأمانة، والعقل والرزانة. هل بمحمد جنون؟ فينصح بعضكم بعضًا ﴿ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ﴾ أي: ينظر الرجل لنفسه في أمره ﷺ ويسأل غيره من الناس عن شأنه، ويتفكر في ذلك ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٤٦﴾﴾ روى البخاري عن ابن عباس قال: صعد النبي ﷺ الصفا ذات يوم، فقال: «**يا صاحباه**» فاجتمعت إليه قريش، فقالوا: مالك؟ فقال: «**أرأيتم لو أخبرتكم أن العدو**

www.alukah.net
شبكة الألوكة

يصبحكم أو يمسيكم، أما كنتم تصدقوني؟» قالوا: بلى، قال: «**فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد**» فقال أبو لهب: تبا لك، ألهذا جمعتنا؟ فأنزل الله ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١﴾ [المسد: ١]. البخاري. وروى الإمام أحمد عن بريدة قال: خرج إلينا رسول الله ﷺ يومًا فنادى ثلاث مرات فقال: «**يا أيها الناس، تدرون ما مثلي ومثلكم؟**» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «**إنما مثلي ومثلكم مثل قوم خافوا عدوًّا يأتيهم، فبعثوا رجلًا يتراءى لهم، فبينما هم كذلك، أبصر العدو، فأقبل لينذرهم، وخشى أن يدركه العدو قبل أن ينذر قومه، فأهوى بثوبه: أيها الناس، أوتيتم، أيها الناس أوتيتم، ثلاث مرات**». البخاري ومسلم والترمذي. وروى بهذا الإسناد قال: قال رسول الله ﷺ: «**بعثت أنا والساعة جميعًا، إن كادت لتسبقني**».

دعوة أخرى للتأمل:

في المرة السابقة دعاهم إلى التجرد والنظر والتفكير الهادي ويدعوهم هنا إلى التأمل فيما يدعو إليه ما مصلحته فيه؟ ويحرك ضمائرهم وهو يقول لهم: ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ﴾ [سبأ: ٤٧] لا أريد منكم مالاً ولا عطاء على أداء رسالة الله إليكم، إنما أطلب ثواب ذلك عند الله، والله عالم بما أنا عليه من إخباري عنه بإرساله إياي إليكم. وما أنتم عليه. وتلك علامة الصادقين المخلصين الذين يبتغون عند الله الأجر والمثوبة، فالدعوة لا علاقة لها بالدنيا كلها، فإذا تداخلت الدنيا مع الدعوة تداخلت الشكوك والظنون، ورسولنا ﷺ أعطى في الدنيا ولم يأخذ منها شيئًا فغادرها كما جاءها، وهذا وسام شرف له ﷺ.

جئتكم بالحق المبين:

﴿قُلْ إِنَّ رَبِّى يَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ۝٤٨﴾ [سبأ: ٤٨].

محمد ﷺ جاء قومه بالحق القوي الذي يقذف به رب العالمين للبشرية جمعاء.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

في تصوير تشخيصي مجسم وكأنه قذيفة يقذف بها علام الغيوب عن علم وإلى هدف فهي تخرق وتصدع وتنفذ ولا يقف لها أحد، في رؤية مكشوفة واضحة، فكل ما يأتي من قبله سبحانه حق لا مرية فيه، فإذا نصر نصر عن حق، وإذا أهلك أهلك عن حق، وإذا أعطى أعطى عن حق، وإذا منع منع عن حق، ففعل الله هو الحق المبين.

من صور الحق: الرسالة، والقرآن والمنهج المستقيم:

قال تعالى: ﴿قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴿٤٩﴾﴾ [سبأ:٤٩]. جاء الحق من الله والشرع العظيم. وذهب الباطل وزهق واضمحل، ولهذا لما دخل رسول الله ﷺ المسجد الحرام يوم الفتح ووجد تلك الأصنام منصوبة حول الكعبة، جعل يطعن الصنم بسيفه وقوسه، ويقرأ: ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾﴾ [الإسراء: ٨١].

﴿قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴿٤٩﴾﴾ [سبأ:٤٩]. رواه البخاري ومسلم والترمذي عن ابن مسعود به: أي لم يبقَ للباطل مقالة، ولا رياسة، ولا كلمة. ومهما يقع من غلبة مادية للباطل أحيانًا فليست غلبة على الحق وإنما هي على أهل الحق وسرعان ما تزول، فهي غلبة على الناس لا على المبادئ، ولذلك يقول الحق سبحانه: ﴿قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِى ۖ وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِىٓ إِلَىَّ رَبِّىٓ ۚ﴾ [سبأ:٥٠]. فلا عليكم إن ضللت، فإنما أضل على نفسي، وإن كنت مهتديًا فإن الله هو الذي هداني بوحيه، لا أملك لنفسي شيئًا إلا بإذنه، وأنا تحت مشيئته أسير فضله، ﴿إِنَّهُۥ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴿٥٠﴾﴾ [سبأ: ٥٠]. وهكذا كانوا يجدون الله فعاشوا في أنس مع ربهم في كنفه، وجواره، وعطفه، ورعايته.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

من المواقف المذهلة يوم القيامة:

الآيات تعرض حركة مترددة بين الدنيا والآخرة:

المكذبون يفزعون يوم القيامة، ولكن لا مفر لهم، ولا وزر ولا ملجأ، ولم يمكنوا من الهرب، بل يؤخذون من أول وهلة يخرجون من قبورهم، وحين يرون أن الكلمة قد حقت عليهم، ورأوا العذاب بأعينهم يقولون: آمنا.. آمنا بالله، وكتبه، ورسله.

وكيف لهم تعاطي الإيمان، وقد بعدوا عن محل قبوله وهي الدنيا التي كذبوا فيها وعاندوا وخاصموا وفجروا، وصاروا إلى الدار الآخرة، دار الجزاء. فلو آمنوا في الدنيا كان ذلك نافعهم ومنجيهم، ولكن بعد صيرورتهم إلى الدار الآخرة فلا سبيل لقبول إيمانهم ﴿وَقَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦ وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾﴾ [سبأ: ٥٢]. لقد كان الإيمان سهلاً يسيرًا عليهم في الدنيا، ولكن بعد أن خرجوا منها صار بعيدًا عليهم. و(التناوش) تناول الإيمان وهم في الآخرة وقد انقطعت عنهم الدنيا فأنى لهم ذلك؟ فكيف يحصل لهم الإيمان في الآخرة وقد كفروا بالحق في الدنيا وكذبوا المرسلين؟ فلقد قذفوا محمد ﷺ بالباطل وقالوا عنه كاهن، ساحر، مجنون، شاعر، إلى غير ذلك من الأقوال الباطلة، وكذا بالبعث، والنشور، والمعاد، فكانوا يرجمون بالظن، أن لا بعث، ولا جنة، ولا نار. ﴿وَقَدْ كَفَرُواْ بِهِۦ مِن قَبْلُۖ وَيَقْذِفُونَ بِٱلْغَيْبِ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾﴾ [سبأ: ٥٣]. فأساءوا الظن في الدنيا وكفروا بالحق فحيل بينهم وبين الإيمان في الآخرة، فلا توبة لهم فيها، ولا رحمة بهم وحيل بينهم وبين الأموال وزهرة الحياة الدنيا، وشهواتهم فيها، وما طلبوه في الآخرة، فمنعوا منه جميعًا.

كما جرى للأمم الماضية المكذبة للرسل لما جاءهم بأس الله تمنوا أن لو آمنوا، فلم يقبل منهم: ﴿فَلَمَّا رَأَوْاْ بَأْسَنَا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾﴾

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾

[غافر: ٨٤- ٨٥].

إنهم عاشوا في دنياهم على الشك والريبة، فلهذا لم يتقبل منهم الإيمان عند معاينة العذاب، فإنه من مات على شك بعث عليه ومن مات على يقين بعث عليه. رؤي أحد الصالحين بعد الموت: فقيل له: ما فعل الله بك؟ فقال: طاشت تلك العبارات، وذهبت تلك الإشارات ولم يبق إلا ركيعات ركعناها في جوف الليل.

شبكة الألوكة - قسم الكتب